

جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية

أ. محمد الأمين شرويك

المركز الجامعي آفلو- الجزائر

الملخص :

إن من الأهمية بمكان الحديث عن الأوضاع الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني وذلك بإلقاء نظرة عن مواقف المصادر التي اهتمت بالواقع الثقافي والعلمي خلال هذه الفترة من وجود العثمانيين بالجزائر، حيث تجمع أغلب البحوث والدراسات تذبذب حركة التعليم بل وإهمال الثقافة من لدن السلطة الحاكمة، ومن أمثلة ذلك ما وصفه المستشرق الفرنسي " ريجيس بلاشير" من أن معين الحياة الثقافية والإبداع يكاد يكون جافا وبه طويت صفحة من صفحات الثقافة الإنسانية خلال هذه الفترة.

في حين رأي آخر يرى أن حركة الثقافة والتعليم ازدهرت وأن العثمانيين قد اهتموا بها وحافظوا عليها طيلة 03 قرون بحفاظهم على الجزائر من الأخطار الأجنبية ولم تتمكن أوروبا من فرض هيمنتها التبشيرية الاستعمارية.

إن موقف الدولة العثمانية من حركة الثقافة والتعليم قد فتح المجال أمام نشاطها ودون التدخل فيها، حيث قامت على أساس المبادرات الفردية وعلى أساس المهام المنوطة بجماعة العلماء والفقهاء في المدن وعلى نشاط شيوخ الزوايا في الريف.

ومن خلال هذا نجد أغلب المصادر العربية والأجنبية قد نوهت بجهود بعض بايات الجزائر وذلك بتشجيعهم لحركة الثقافة والتعليم ببناء المساجد والزوايا وتقديم الهيئات المالية وتفعيل الأوقاف وإكرام العلماء، الأمر الذي جعل من هذا المجال يعرف التحسن والانتعاش حتى وان لم يكن مجال الثقافة والتعليم في مقدمة اهتمامات الأتراك بالقدر الذي حظي به المجال العسكري وتنظيماته في تصدره لأولوياتهم.

الكلمات المفتاحية: العثمانية ; الجزائر ; الثقافة ; صالح باي ; محمد الكبير ; التعليم

Abstract :

It is important to talk about the cultural conditions in Algeria during the Ottoman era by looking at the positions of the sources that were concerned with the cultural and scientific reality during this period of the presence of the Ottomans in Algeria. Most researches and studies combine the fluctuation of the education movement and the neglect of culture from the ruling authority. That is what the French orientalist Regis Blacher called the cultural life and creativity almost dry and in which a page of human culture was folded during this period.

Another view is that the movement of culture and education flourished and that the Ottomans took care of it and preserved it for 30 centuries by preserving Algeria from foreign dangers and Europe was unable to impose its colonial missionary domination.

The position of the Ottoman state of the movement of culture and education has opened the way for its activity and without interference. It was based on

individual initiatives and on the basis of the tasks assigned to the community of scholars and jurists in the cities and the activity of the sheiks in the countryside.

Through this, we find most Arab and foreign sources have noted the efforts of some Bayat Algeria by encouraging them to the movement of culture and education to build mosques and angles and to provide financial institutions and activating endowments and honoring scientists, which made this area knows improvement and recovery, even if the field of culture and education in the forefront of interests To the extent that the military sphere and its organizations have given priority to them.

Keywords: Ottoman era ; Algeria ; the culture ; Saleh Bay; Mohammed al-Kabeer; Education

مقدمة :

إن تطور الكتابة التاريخية وما رافقها من مناهج وآراء تاريخية لا يمنع من فحص مختلف للمصادر التاريخية ونقد رواياتها والاتجاهات المختلفة لهؤلاء المؤرخين وأسلوبهم ونظرتهم للحياة الثقافية والاجتماعية بصفة عامة.

إن المتابع لسيرة البحث التاريخي في الجزائر خاصة منها المتعلقة بالموضوعات العسكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية سواء الخاصة بالعهد العثماني أو بفترة الاحتلال الفرنسي تحظى بإقبال كبير من الباحثين والدارسين وذلك راجع في غالب الأحيان لتوفر مادتها العلمية وربما لمهولة البحث والتيسير فيه من جانب آخر.

ومن هنا جاءت عمليات التدوين لمختلف الأحداث والوقائع التي شهدتها الجزائر خاصة خلال العهد العثماني بمختلف جوانبه، وما يهمننا أساسا من خلال هذا البحث هو التدوينات المحلية والأجنبية التي ارتأينا توظيفها في دراسة للحياة العلمية في الجزائر وجهود بايات الجزائر في إحياء هذه النهضة العلمية خاصة في الفترة الأخيرة، حتى ينكشف للباحث الكثير من الحقائق

والأحداث التي تمكنه من الرؤية الواضحة التي تساعده على التقويم والتقدير والنقد السليم للأحداث التاريخية.

لذا دعت الضرورة بدراسة واقع الحياة الثقافية وإسهام بايات الجزائر في تشجيعها متخذين أنموذجين برزا في هذا الميدان صالح باي في بايلك الشرق والباي محمد الكبير في بايلك الغرب، واللذين أوليا عناية كبيرة بالمنشآت العلمية وبفئة العلماء، اعتقادا منهم أن الدولة تقوى بقوة علمائها وتضعف بضعفهم، حيث حكم كل منها في أواخر القرن (12هـ-18م)، وكلاهما حاولا أن يمثل (عصر التنوير) في الجزائر العثمانية.

والإشكالية التي يطرحها هذا البحث تتمحور فيما يلي:

- ما مدى مساهمة حكام وبايات الجزائر في بعث الحركة العلمية؟
- ما هي أبرز مميزات الحياة العلمية وأبرز مظاهرها في فترة الباي محمد الكبير وصالح باي؟
- ما هي المكانة التي تبوأها العلماء لدى البايات الباي محمد الكبير وصالح باي؟
- وكيف تجلّي الاهتمام بالمؤسسات العلمية خلال هذه الفترة حيز الدراسة؟

أولا- عناية بعض الحكام الأتراك بالحركة العلمية في الجزائر العثمانية:

كان العثمانيون في الجزائر أو في غيرها يعيشون عصرهم، أي عصر التخلف الفكري والتدهور السياسي، ولكن كانوا يمثلون قمة التخلف لأنهم كانوا مسؤولين على الأمة الإسلامية وعلى الخلافة. (1)

ولم يكن مستواهم العلمي بأحسن حظا من مستواهم الديني، فالعلم كان في وقتهم من شؤون المجتمع وليس من شؤون الحكومة، ولم تكن هناك وزارة ولا إدارة للتعليم لا في اسطنبول ولا في الجزائر.

إذن كان التعليم حرا بمفهوم الحرية عندنا اليوم يشترك فيه الرسمي وغير الرسمي، فالأمة بأسرها مسؤولة على تعليم أطفالها، كما أن الأمة مسؤولة على القيام بشؤون دينها، وقد اشترك

العثمانيون حكاما وجنودا وكراغلة في إقامة مؤسسات التعليم بإمكانياتهم عندئذ حيث بدأوا بالكاتيب حول المساجد في الأحياء الأهلة بالسكان، وانتهوا بالمدارس والمساجد التي كانت بدورها مراكز للتعليم والدروس، وقد حسبوا لذلك الأحباس ووفروا الكتب وعينوا المدرسين ورتبوا لهم الرواتب، وكانوا في ذلك لا يختلفون عن بقية المسلمين، وتطول بنا القائمة لو ذكرنا منهم من أسهم في بناء المساجد والكاتيب وتحييس الكتب وتعيين المدرسين، وإن الذين اشتهروا منهم بذلك قلة، ويعود ذلك إلى قصر مدتهم في الحكم وإلى عوامل أخرى ليس لها علاقة باستعداداتهم الشخصية.⁽²⁾

ومن أمثلة تدخل بايات الجزائر في نشاط الحياة العلمية هو اهتمامهم بالوقف الذي كان أكبر مؤسسة تغذي المؤسسات العلمية جميعها، فهو مصدر العيش للزوايا والأضرحة وغيرها من المؤسسات الدينية، كما أنه مصدر الحياة والنمو للمساجد والمدارس والكاتيب ومعيشة العلماء والطلبة لذا سهر الحكام على الإشراف عليه، والواقفون في الجزائر لا حصر لهم بجنس أو طبقة أو مذهب ولذلك وجدنا فيهم الرجل والمرأة والعثمانيين والحضر والأحناف المالكية وهكذا فلا يكاد يوجد باشا ظل في الحكم مدة طويلة نسبيا إلا وقد بنى جامعا (أو مسجدا) أو كتّابا أو زاوية أو وقف الأوقاف على ما بناه ولعل هذا يخالف ما قيل من أن العثمانيين في الجزائر لم يكونوا مهتمين بشؤون الدين، وإن الآثار تدل على أن الحكام العثمانيين كانوا يشعرون ببعض الواجب الديني والاجتماعي نحو المجتمع الذي كانوا يحكمونه، حقا إن منشآتهم العلمية لم تتطور فتصبح جامعات شهيرة ومعاهد راسخة القدم، ولكن الحد الأدنى من العناية بهذه المنشآت يدل على نوايا بعضهم الحسنة والخيرة.

ويبدو أن قصر المدة التي كان يبقاها كثير منهم في الحكم والعنف الدموي الذي كان يتسم به الحكم نفسه والانقلابات المتوالية هي التي كانت السبب في عدم تطور هذه المنشآت ومنع الكثير منهم من أوقف أوقاف جديدة عليها وتعهدها بالعناية والتنمية، ومن الغريب أن بعض أوقاف المساجد ونحوها قد أوقفها عثمانيون كانوا في السابق على الدين المسيحي ولكنهم رضوا بالإسلام دينا أمثال الحاج حسين ميز مورتو⁽³⁾، وعلي بتشين، بل إن هناك مساجد وأوقافا قد أمر بها الوجود كله مثل الجامع الجديد الذي وضعت أوقافه تحت مؤسسة سبل الخيرات العثمانية الحنفية.⁽⁴⁾

ومن سوء حظ هذه المؤسسات أن الباشا الجديد كان في أغلب الأحيان خصما لسلفه، فلا يحرص على استمرار سياسة خصمه الدينية أو العلمية أو الخيرية، فهو يبدأ من الصفر وهكذا دواليك، فالمنشآت إذن ظلت فردية أو تنسب إلى الأفراد.

ومن أقدم الواقفين من الباشوات نذكر خير الدين بربروس وخادمه عبد الله صفر هذا الأخير الذي بنى الجامع المعروف بجامع سفير (صفر) 1534م وأوقف له أوقافاً⁽⁵⁾، وكذلك من الباشوات الذين اشتهروا بالوقف على المساجد والمدارس ونحوها نذكر: محمد بن بكير، والحاج محمد بن محمود، ومحمد بكداش الذي بنى زاوية للأشراف وأوقف عليها، ومحمد باشا الذي جدد جامع السيدة، وخضر باشا الذي بنى مسجداً يحمل اسمه، وكذلك حسين باشا الأخير الذي بنى جامع خطبة خاصاً به⁽⁶⁾، وبالإضافة إلى الباشوات أوقف البايات والوزراء والكتّاب (الخوجات) وكبار الضباط عدة أوقاف على مجموعة من المنشآت.

وقد اشتهر بالعبارة بالوقف وتنظيمه وبالقبضات الدينية والعلمية في معسكر الباي محمد الكبير، كما اشتهر في قسنطينة صالح باي فكلاهما حكم في أواخر القرن الثاني عشر وكلاهما حاول أن يمثل "عصر التنوير" في الجزائر العثمانية، وسنعرف المزيد عن آثارهما عند الحديث عن المنشآت نفسها، كما اشتهر الباي حسن (المعروف بوحنك) باي قسنطينة الذي أنشأ سنة 1156هـ الجامع الأخضر وأوقف عليه عدة أوقاف، وقد دفن في نفس الجامع اثر وفاته سنة 1167هـ.⁽⁷⁾

ثانياً- دور الباي محمد الكبير في تشجيع الحركة العلمية ببابيك الغرب (1779-

1797م):

أتمت الحياة الثقافية والعلمية قبل تولي محمد الكبير الحكم على إقليم الغرب بالجمود والجمود، وذلك راجع إلى انصراف سكان هذا الإقليم إلى التجارة خاصة والاهتمام بالشؤون الاقتصادية بشكل عام، وذلك أن التجارة كانت تدر عليهم أرباحاً طائلة إلى جانب أنهم كانوا يضمنون بواسطتها حصولهم على حاجياتهم اليومية، ولعل هذا راجع إلى التدهور السياسي والتأزم الاقتصادي والتفكك الاجتماعي الذي عاناه البايك الغربي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين (16 و17م).⁽⁸⁾

وقد افتقر التعليم في كل حواضر البايك إلى وسائل التشجيع والتنشيط المعنوي والمادي وقد وجد ذلك في عهد الباي محمد الكبير باعتبار أن المدن والحواضر الرئيسية بالبايك الغربي التي اشتهرت بالعلم أصبحت تكاد تكون خالية من مؤسسات التعليم وأدواته من جهة، كما كان لانتشار الأمية خصوصا بحاضرة معسكر أثر كبير في ذلك من جهة أخرى، حيث يقول في هذا الصدد أبو راس الناصري: " .. في زمن عطلت فيه مشاهير العلم ومعاهده وسدت مصادره وموارده وخلت دياره ومواسمه وعفت أطلاله ومعامله لاسيما فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب قد طرحت في زوايا المهجران ونسجت عليها عناكب النسيان.." (9)

ويشير الأسير الإسباني (تيدنا) Thedenat إلى انتشار الأمية خصوصا بحاضرة معسكر أثر كبير في ذلك من جهة أخرى (10)، حيث لم يكن مجال العلم مفتوحا أمام عامة الناس، بل كان يقتصر فقط على الخاصة لأنه كان يتطلب نفقات باهضة لم تكن في استطاعة كل واحد يرغب في التعليم أو الدراسة حيث كان قلة من السكان هي التي تحتكر هذا الجانب الثقافي وتميز به دون غيرها. (11)

أ- اهتمام الباي محمد الكبير بالعلماء:

ومنذ توليه شؤون هذا البايك ساهم محمد الكبير في النهوض بالحياة الثقافية وجعلها من أولوياته (12) وعمل على تقريب العلماء إلى ديوانه ومجالسه خاصة في الأعياد والمناسبات وبدأ في تشجيع الثقافة وتنشيطها والاهتمام بأعلامها وفقهائها ومفكرها، حيث فاق نشاطه في ذلك ما كان في الناحية الشرقية، وبالتالي كان نصيب معسكر وعلمائها من هذا الإصلاح الثقافي بمثابة الانتعاش والازدهار لهاته الحاضرة بفعل وسائل التشجيع المعنوي والمادي التي أوجدها هذا الباي (13)، يقول ابن سخون: "... والأعياد فإنه كان يعم فيها أهل الوظائف كالخطباء والأئمة والمؤذنين والمؤدبين والمدرسين.." (14)، وكان يوجههم ويرشدهم إلى المناصب فأحمد ابن هطال التلساني قد شغل عدة مناصب سياسية وكان مستشارا للباي وكتبه الخاص ومبعوثه في المهام الخارجية (15)، والعلامة الطاهر بن حو الذي كان قاضي معسكر وعبد الله بن حو الذي كان قاضي البلد وخطيب المسجد الأكبر (16)، وأبو راس الناصري الذي كان قد عينه الباي مفتيا وقاضي بمدينة معسكر. (17)

كما قام هذا الباي بوضع مرتبات للعلماء والمدرسين يأخذونها من الأحباس بعد أن كان العلماء لا ينتفعون من ناحية المخزن بشيء إلا من كان متوليا لخطة أو مستعملا في خدمة فاتسع بذلك حال العلماء وانشرحت صدور القراء وكثر طلبة العلم.⁽¹⁸⁾

ب- تشجيعه لحركة النسخ والتأليف:

كما كان الباي محمد الكبير يشجع على حركة الكتابة والتأليف إذ أمر محمد بن رقية التلمساني بالكتابة عن الحملة التي شنّها أوريلي سنة 1775م، فتناولها هذا الكاتب في تأليف سماه "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها الجنود الكفرة"، ويقول ابن رقية في هذا الصدد أنه ألف هذا الكتاب استجابة منه لطلب الباي: "وذلك عن إذن الأمر بأمر الله القائم بحق الله المتوكل على الله... سيدي محمد باي".⁽¹⁹⁾

وأمر أيضا المصطفى بن عبد الله بن زرفة بتدوين الأحداث التاريخية في فتح وهران كما أمر كذلك أحمد بن سخون الراشدي باختصار كتاب "الأغاني" وجمع "قاموس طب" وتأليف كتاب في الأدب، واشتهر من كتاب هذا الأخير "الثغر الجماني" بعدما أعقد عليه بمائة سلطاني وحمسين ديناراً ذهبياً.⁽²⁰⁾

ج- اهتمامه بتشييد المساجد والمدارس:

وعمل محمد الكبير من أجل توطيد صلته بالعلماء أن قام بتشييد المدارس فقد أسس المدرسة الحمديدية بجانب الجامع الأعظم، وذلك تماشياً مع التقاليد الإسلامية كما هو الحال في تونس، باعتبار أن فكرة المدرسة المستقلة عن الجامع لم تكن تدور في خيال الباي محمد الكبير وقد ضمت هذه المدرسة أساتذة أكفاء متفرغين لمهنة التعليم إلى جانب الآلاف من الطلبة، حتى وصفت بالمدرسة التي كاد العلم ينفجر من جوانبها⁽²¹⁾، واتبع الباي محمد الكبير في معسكر طريقة مشابهة، فقد جاء في إحدى الوثائق أنه تتبع أوقاف مدرستي تلمسان "التي استولت عليها الأيدي ونسي الناس أنها أوقاف" وأعاد للمدرستين الأراضي التابعة لها.⁽²²⁾

كما شيد هذا الباي مسجد "سيدي حسن" أو مسجد المبايعة أو عين البيضاء نسبة إلى الحّي الذي بني فيه والذي فرغ من بنائه في سنة 1781م⁽²³⁾ ورتب له خطيباً وإماماً وأربعة مدرسين

ورتب لكل بيت في المدرسة ما يكفيه من لوازم، وجعل لمقدم الطلبة راتباً معلوماً ولمن يصحح ألواحهم كذلك وكذا لمن يقرؤون الحزب.. إلخ.⁽²⁴⁾

وبعد فتح وهران شيد هناك عدة مساجد منها جامع الباي في خنق النطاح سنة 1793م والجامع الكبير أو مسجد الباشا سنة 1796م أمر من باشا الجزائر الداي "بابا حسن" تخليداً لفتح وهران وأوقف له من المتاجر والحمامات... وجامع سيدي الهواري في عام 1799م.⁽²⁵⁾

ومن مآثر هذا الباي ما قام به من نشر العلم وإنشاء المدارس والمعاهد وأدخل إصلاحات في التعليم لكافة الحواضر الكبيرة والصغيرة وأوقف عليها الأوقاف الكبيرة، ونظم هذه المدارس ورتبها على درجات ومراحل ووضع لها المناهج، وحدد العلوم والمواد التي تدرس في كل مرحلة، فالمواد التي كانت تدرس في المدرسة المحمدية فهي لا تقل عن المواد التي كانت تدرس بأشهر المعاهد الإسلامية.⁽²⁶⁾

هذا وقد تخصصت مدرسة المحمدية في تدريس الفقه المالكي وعلم التوحيد إلى جانب علوم اللغة العربية، واشتهرت كتب الحواشي والتي اشتهر منها شرح الشيخين الزرقاني والخرشي وحاشية الشيخ مصطفى الرماصي، إلى جانب المختصرات التي وضعت على المصادر كمختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي.⁽²⁷⁾

ومما تجدر الإشارة إليه هي أن العناية بالعلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها ظلت محل اهتمام المدرسة المحمدية، وهذا القصور لا ينطبق على حاضرة معسكر وحسب، بل هي حالة الجزائر عموماً وحال العالم الإسلامي آنذاك، وهو ما أدى إلى انحطاط وضعية العلوم العقلية وقلة المنشغلين بعلوم الطب والكيمياء والفلك والحساب.. وغيرها من العلوم الطبيعية والتجريبية وهو ما لاحظته الرحالة الإنجليزي "شو" (shaw) خلال زيارته لعدد الأقطار الإسلامية في القرن 18م وأشار إلى وضعية العلوم العقلية في الجزائر بأن أي علم لم يأخذ بدرجة من الكمال، مؤكداً على أن هذه الوضعية ليست ناجمة عن قلة الأشخاص الذين يمارسون الطب أو أي من المهن التي تتطلب المعرفة بالعلوم الدقيقة، إلا أن كل ما يفعلونه هو من قبيل العادة والتعود معتمدين في ذلك على ذاكرتهم القوية وذكائهم الفذ.⁽²⁸⁾

وبالتالي فإن عدم اهتمام علماء معسكر بهذه العلوم هو الذي جعل الكتاب الأوربيين ينتقدون التعليم في الإيالة الجزائرية عموماً وهو ما فيه شيء من الحقيقة.⁽²⁹⁾

ولم يزد الباي محمد الكبير فتحه لوهران إلا مزيداً من النشاط في النهوض بالحركة العلمية في أرجاء البايك، فكان أثر ذلك واضحاً في بقية مراحل حياته إذ كانت أولى خطواته أن يبادر في أعقاب بناء المدرسة المحمدية بالإنفاق عليها من ماله الخاص بغية جمع واستنساخ المخطوطات النادرة بمكتبته ألحقها بها، ووضعها تحت وصاية الجوس لخدمة الطلاب وأئمة المساجد والمدرسين الملحقين بالمدرسة، كما وضع لها نظاماً داخلياً لتسييرها.⁽³⁰⁾

وهكذا يتبين أن المدرسة المحمدية هي من المعاهد العليا التي عرفتها الإيالة الجزائرية خلال العهد العثماني مثلها مثل المدرسة الكثانية التي أنشأها صالح باي في قسنطينة والمدرسة القشاشية في مدينة الجزائر، غير أن سمعتها ومكانتها العلمية فاقت المدرستين الأخيرتين لأهميتها الوظيفية في تلبية حاجيات السلطة العثمانية من الإطارات والكفاءات العلمية المختصة.⁽³¹⁾

ومن الخطوات التي تحسب لهذا الباي في تشجيع العلم والعناية به هو قيامه ببناء العديد من المساجد والجوامع بحاضرة معسكر، وعن دوره هذا في ترميم وإصلاح المساجد يقول ابن سخون: "فكان أول ما صرف إليه همته أن شرع في إصلاح مساجد الجمعة فزاد في جامع السوق الصفيين المقدمين.." ⁽³²⁾، هذا وقد قام بإيصال الماء إلى المسجد عبر القنوات، وأنشأ أحواضاً للوضوء وشيد حماماً-الأدهم- حول ذلك المسجد وحبس على المدرسة والمسجد وهو المعروف إلى يومنا هذا بحمام البركة والذي وصفه ابن سخون " بالرائق بناء وشكلاً" ⁽³³⁾ وحبس عليها كذلك البساتين والحدائق والحوانيت، ويفهم من هذا أن الباي قد يبادر بهذه الأعمال الحضارية بغية تلبية حاجيات موظفي هذه المراكز التعليمية بهدف أن يقوموا بمهامهم على أكمل وجه.⁽³⁴⁾

وفيما يتعلق بهندسة وجمال معمار هذا المسجد نجد ما تناولته المصادر المحلية والأجنبية إذ يؤكد ابن سخون الراشدي الذي اعتبره من العجائب وقال: "أن الناس كانوا يقصدونه للتزهد والتعجب.." ⁽³⁵⁾، أما الآغا بن عودة المزارى فقد قال بشأنه: "وبنا رحمه الله-الباي محمد الكبير- الجامع الأعظم قليل الوجود بالعين البيضاء من بلدة معسكر.." ⁽³⁶⁾

ومن خلال هذا العرض البسيط لانجازات هذا الباي محمد الكبير الذي يعتبر من البايات القلائل الذين نهضوا بالتعليم وأحسنوا إلى العلماء وأكرمواهم فكانوا له عوناً وسنداً في تطبيق وانجاز مشاريعه الحضارية وحتى السياسية والعسكرية متجلية في طرد الإسبان من وهران سنة 1791م.

ثالثاً- جهود صالح باي في تشجيع الحركة العلمية ببابليك الشرق(1771-

1792م):

يعتبر صالح باي⁽³⁷⁾ من أبرز بايات الجزائر في الشرق، فقد كان ذا شهرة واسعة وذاع صيته بفضل انجازاته، حيث عرف عصره ازدهاراً وامتعاشاً حتى خاف منه دايات عصره من الاستقلال ببابليك الغرب لما رأوا الناس قد التفت حوله، أما عن علاقته مع العلماء فقد قربهم إليه واهتم بالتعليم ورجال الدين والفقهاء أمثال المفتي الشيخ عبد القادر الراشدي والقاضي الحنفي الشيخ شعبان بن جلول والقاضي المالكي الشيخ العباسي⁽³⁸⁾.

ومن مآثره اهتمامه بالمنشآت الدينية إذ قام ببناء المدرسة الكائنية سنة 1189هـ/1775م⁽³⁹⁾، وبعد سنة من ذلك قام بتأسيس الجامع الحنفي بجوارها⁽⁴⁰⁾، وقد تعددت واختلفت انجازات هذا الباي والتي نوجز أهمها فيما يلي:

أ- جهوده في بناء المساجد:

عرف بابليك الشرق ولاية صالح باي الذي شهد عصره ازدهاراً للحركة الفكرية والثقافية خلال فترة توليه الحكم، والسبب في ذلك يرجع إلى تشجيع رجال الفكر والثقافة، وتأسيس المؤسسات التعليمية والدينية كالمساجد والجموع والزوايا، هذا وتختلف الإحصائيات حول مساجد مدينة قسنطينة، ففي عهده بلغت كما جاء في السجل الذي أمر ببنائها 75 مسجد وجامع بالإضافة إلى 07 مساجد خارج المدينة، وقد جاء في بعض الإحصائيات المتأخرة أن قسنطينة كانت تضم 35 جامع فقط، أما الورتلاني الذي زار قسنطينة في القرن 18م، فقد ذكر أنه كان فيها نحو 05 جوامع خطبة، وأن بعضها كان متقن البناء⁽⁴¹⁾، وبالإضافة إلى هذا اهتم صالح باي أيضاً بالكتابيب القرآنية والزوايا، والتي بلغت في عهده 13 زاوية، وهذا يدل على

اهتمامه الكبير بالشؤون الدينية، ومن بين أشهر المساجد التي بناها صالح باي نذكر: جامع سوق الغزل وجامع سيدي الكّاني الذي شيده سنة 1775م وشيد إلى جانبه مدرسة، وفي سنة 1791م تم بناء الجامع الكبير ببونة⁽⁴²⁾، كما توفرت قسنطينة في عهده على خمسة مساجد كبرى وسبعين مسجداً صغيراً إلى جانب الكّاتب القرآنية وأولى اهتمامه بالتعليم الديني وغيره، وخصص للمعلمين والفقهاء والوعاظ والأئمة أجور من أموال الأوقاف التي اهتم بصيانتها ورعايتها⁽⁴³⁾ فجعل للمدرسين 40 ريالاً في السنة وللوكيل 08 ريالات وللبناب 07 ريالات لكل طالب من الطلبة المجاورين 06 ريالات⁽⁴⁴⁾، وكل ذلك من أموال الأوقاف التي أمر صالح باي بإحصاء كل أملاك المساجد والمؤسسات الخيرية وقام بمراقبتها والإشراف عليها⁽⁴⁵⁾، ووضع عدة شروط صارمة لتسييرها أراد من خلالها صالح باي أن ينشأ بفضلها علماء أكفاء.⁽⁴⁶⁾

ب- جهوده في تشييد المدارس:

لقد كثرت المدارس في قسنطينة في العهد العثماني وخاصة في عهد صالح باي، الذي نهض بالتعليم واعتنى بالمؤسسات العلمية، وقد ثبت من السجل الذي أمر به صالح باي أنه كان في قسنطينة على عهده مدرستان ثانويتان وهما "سيدي بوقصيعة" و"سيدي ابن خروف" ولكن هذا السجل لم يشير إلى عدد المدارس الابتدائية⁽⁴⁷⁾، ومن بين أهم المدارس التي شيدها صالح باي نذكر منها:

مدرسة سيدي الكّاني والتي تقع بالجانب الشرقي من الجامع المعروف باسم سيدي الكّاني، وأسسها صالح باي سنة 1787م واشتهرت منذ تأسيسها باسم المدرسة الكّانية نسبة إلى ولي صالح "اسمه الكّاني من ق 18م" وكانت العادة حينئذ أن تسمى المدارس والمساجد والزوايا بأسماء شخصيات اشتهرت بالعلم والصلاح والجهاد وسميت بأسماء رجالها للتبرك والافتداء بهم⁽⁴⁸⁾، وتقع هذه المدرسة بالضبط في الجزء الشرقي للمدينة العتيقة، في أعلى مدينة قسنطينة، وهي قريبة من "جسر سيدي مسيد" بمحاذاة السوق الشعبي المسمى بسوق العصر، وبهذه المدرسة دفن صالح باي، وهي تضم رفاته ورفاة عائلته⁽⁴⁹⁾، وبجانب مسجد سيدي الكّاني أسس صالح

باي مدرستين بقسنطينة، أولها المدرسة التي ذكرناها آنفا والتي انتهى من بنائها 1775م والثانية مدرسة سيدي الأخضر (1203هـ - 1789م).

وحتى تؤدي هذه المدارس وظائفها، استحدث صالح باي نظاما دقيقا يتقيد به المدرسون والطلبة، ويخضع له العاملون بأماكن الدرس والعبادة، فبفضل هذا النظام وظف وكيلا يسهر على نظام الدراسة يساعده قيم في أداء مهمته، كما استحدث في كل مدرسة قاعة للصلاة وميضأة وخمس غرف إحداها مخصصة للمدرسين، والأربع الأخرى يقيم بها الطلبة⁽⁵⁰⁾ الذين كانوا يتوزعون بنسبة طالبين لكل غرفة، وخصص لكل من المدرس والوكيل والطلبة والمقيمين أجورا سنوية قارة، وبرنامج دراسي محدد، وقوانين دقيقة يخضعون لها، فقد كانت هذه القوانين تقتضي في حالة التغيب دون عذر، وعدم التقدم في الدراسة التي حددت مدتها بعشر سنوات، أو عند إظهار السلوك المنافي للآداب العامة، أن يتعرض الطالب للعقاب أو الطرد، وقد أثارت هذه التنظيمات التربوية إعجاب بعض الكُتاب الفرنسيين وعلى رأسهم فالست (E.Vayssettes) الذي علق عليها "إنها تم عن روح متفتحة وعقل واع، فهي لا تقبل في شيء عما كان جار به العمل في مدارس فرنسا آنذاك"⁽⁵¹⁾.

وكان برنامج التعليم مسطرا على المدارس حيث يتم إلقاء ثلاثة دروس في اليوم:

- الدرس الأول يبدأ عند مطلع الشمس ويدوم حتى الساعة الحادية عشر.
- الدرس الثاني من منتصف النهار حتى وقت العصر.
- الدرس الثالث من العصر حتى غروب الشمس.
- وكان على التلاميذ قراءة أربعة أحزاب كل يوم، اثنان عند صلاة الصبح واثنان بعد صلاة العصر، ويختمونها بصلاة يدعون فيها لمؤسس المدرسة "صالح باي".

وفي شوال (1194هـ - 1780م) أصدر صالح باي قانونا خاص بالمدارس ومما جاء فيه: أن الأستاذ يعين مباشرة من طرف الباي صالح نظرا لتقديره للعلم والمعرفة، ولا يمكن لأي طالب أن ينام خارج المدرسة دون عذر أو سبب مقنع يستلزم ذلك⁽⁵²⁾، أو زيارة أهله

وتكون العطل الممنوحة من عشرين إلى ثلاثين يوماً، وإذا لم يعد الطالب إلى المدرسة بعد انتهاء العطلة مباشرة، بدون سبب يطرده ويعوض بطالب آخر، ولا يسمح للعاملين والطلاب غير المقيمين في المدرسة المبيت داخلها، وكل طالب لا يولي اهتماماً بالدروس يكون جزاؤه الطرد لهاي. ولا يمكن إدخال المواد الغذائية وأدوات الطبخ إلى المدرسة إلا الضروري منها، كما يمنع أيضاً غسل الملابس داخل المدرسة.⁽⁵³⁾

وبالتالي من خلال ما سبق من هذه القوانين الصارمة نستشف انه كان لها جانب كبير من الحكمة في تسيير أمور التعليم، وقد سن هذه القوانين أكبر علماء ذلك الوقت كالشيخ "عبد القادر الراشدي" مفتي الحنفية و"شعبان جلول" قاضي الحنفية، و"العباسي" قاضي الملكية، هؤلاء وحدوا معارفهم لتزويد الناس بالفتاوى.⁽⁵⁴⁾

أما في المناطق النائية فقام صالح باي ببناء الزوايا لتحفيظ القرآن الكريم، وكان صالح باي يهدف من هذه المؤسسات العلمية نشر التعليم بين الناس على نطاق واسع، ليتمكنوا من أمور دينهم، ولإعداد رجال يتولون أمور الإفتاء والقضاء والإمامة والتدريس، وكل ما يتعلق بالشؤون الدينية، بالإضافة إلى حفظ علوم الدين من الضياع والنسيان، والعمل على تحسينها فهما وتعلّما، ويهدف كذلك إلى إعداد الفرد المسلم للحياة إعداداً جيداً ليفيد نفسه ومجتمعه والإنسانية كافة.⁽⁵⁵⁾

وحتى تؤدي هذه المدارس دورها كاملاً حددت بالمدارس بفترة عشر سنوات، وكانت الدراسة في المرحلة الثانوية مجاناً، بل الطلاب هم الذين يتقاضون الأجور، والمنح الدراسية بالإضافة إلى الأكل والسكن كما ذكرنا سابقاً، كما لا يمكننا أن ننكر دور المكتبات التي كثرت عبر أنحاء المدينة، وكانت هذه الكتب تأتي إلى هذه المكتبات عن طريق النسخ والتصنيف أو تأتي من الخارج من بلاد الأندلس ومصر والقسطنطينية والحجاز، عن طريق الشراء والاقْتناء، وقد اعترف بعض المستشرقين الفرنسيين بكثرة الكتب والمكتبات بقسنطينة، وأعجب بها سواء المكتبات العامة أو الخاصة التي تملكها بعض الأسر القسطنطينية، ولا سيما منها "عائلة ابن الفكون" والتي كانت مكتبتها تحتوي على ما يزيد عن "4000 مجلد"، وكان الخط الذي يتم

النسخ به هو الخط الأندلسي الذي قال عنه العلامة "ابن خلدون" أنه طغى على الخطوط الأخرى وتغلب عليها في بلاد المغرب وهو الخط المعروف حاليا "بالخط المغربي"⁽⁵⁶⁾.

ج- اهتمامه بالأوقاف:

كان صالح باي من المبادرين الأوائل في وقف بعض ممتلكاته منها ما وقفه على المدرسة والمسجد اللذان بناهما مما دفع بأعيان المدينة الإقتداء به في هذا النهج⁽⁵⁷⁾، وقد قام صالح باي بجهودات كبيرة لتنظيم الأوقاف وحمايتها، وقد جسد سياسته من خلال تعيين عمال يسجلون أملاك المساجد، والمؤسسات الخيرية، بحيث تكون تحت إشرافه ومراقبته وقد أمر بتدوين تلك الأملاك في سجل كبير، حيث دونت فيه قائمة المساجد والمؤسسات المدنية، بما لها من أملاك وأوقاف، كما وضعت دفاتر صغيرة الحجم خصت كل مسجد بصفة مستقلة، وقد بلغ عددها المائة، لكن هذه السجلات ضاعت كلها، باستثناء جزء من دفتر دونت فيه عقود أحباس الجامع الأعظم الذي بناه صالح باي، وبالتالي نستنتج أن سياسة صالح باي القوية في البيع والشراء والمعاوضة، حتى بأملاك الأوقاف والتي ساهمت في توزيع العمران وتنظيم الأملاك العامة وتمركزت منشآته العمرانية بين سوق الجمعة وسوق العصر والشارع بينما كانت قليلة في القصبية والطابية وباب الوادي وكانت نادرة في البطحاء⁽⁵⁸⁾، وكانت مؤسسة الأوقاف قبل توليه صالح باي شؤون قسنطينة تعاني الاضطرابات والإهمال والفضوى، الأمر الذي أدى إلى ضياع عوائدها وإتلاف أملاكها، حيث قام صالح باي بعد أن وصلته الأخبار بأن التقصير قد وقع في أوقاف المساجد وعاث فيها الوكلاء فسادا ونهباً وإهمالاً فعملت عن وظائفها وأصبحت مرابط للدواب، فأمر الباي أن تضبط الأمور في الحال، وقد وضع لذلك سجلات يشرف عليها القضاة والمفتون، وأمرهم أن يبحثوا بالإضافة إلى ذلك عن الأوقاف سواء انقضت أو التي مازالت ولكن في حالة سيئة، كما قرر محاسبة الوكلاء في كل ستة أشهر، وعهد إلى (المجلس العلمي) المكون من العلماء وصاحب بيت المال بالنظر في شؤون الأوقاف وفائضها في كل سنة، على أن يستعمل الفائض في شراء عقار آخر يصبح بدوره وقفاً.. وهكذا.⁽⁵⁹⁾

وقد مهد صالح باي في تنظيمه للأوقاف بإجراء إحصاء شامل ودقيق لكل ما يتصل بالأوقاف وقد أشرف عليه القاضي الحنفي الشيخ عبد القادر الراشدي، وحتى نبين مدى

حرص صالح باي على تنظيم مؤسسة الأوقاف بقسنطينة ثبت ما جاء في إحدى وثائق الوقف المؤرخة في 1190هـ: "الحمد لله ولما وقع التقصير من وكلاء مساجد قسنطينة ولم يكن لهم اعتناء بشأن الأوقاف وفرطوا في ذلك غاية التفريط وضاع الكثير منها.... وبلغ أمر ذلك لحظرة المعظم الأسعد المنصور.... سيدنا صالح باي أيده الله تعالى.... فألهمه الله إلى إحياء ما اندرس من المساجد والأوقاف... أمر حينئذ قضاة أو المفتين أن يبحثوا على أوقاف المساجد وعلى المساجد التي دمرت، ويثبتوا ذلك في ثلاث سجلات متماثلة، فأمتثلوا أمره، وبذلوا جهودهم في البحث عن أوقاف المساجد وعن المساجد التي اندثرت، وأثبتوا بعد الكشف عن ذلك، أوقاف مساجد بلد قسنطينة بهذا السجل و بثلاث سجلات مماثلة له لفظا ومعنى، وضع أحد السجلات عند صاحب بيت المال والثاني عند شيخ البلد، والثالث عند قاضي الحنفية، والرابع عند قاضي المالكية.... وذلك أواسط شهر ربيع الأول المنور عام 1190هـ".⁽⁶⁰⁾

ولقد اتخذت أوقاف صالح باي من المدرسة والجامع الأعظم مركزا رمزيا، فانجر عن ذلك نقل وسط المدينة وتوسع عمران لم يسبق لقسنطينة أن عرفتة قبل هذا التاريخ، وانطلق في تعمير المنطقة من الجمع الديني الثقافي، الذي أصبح مركزا تجاريا نشيطا بفضل تواجد محلات تجارية تصرف غلتها على المؤسسات، وأول ما حبس على هذا الأخير تسعة حوانيت "قبلية المفتح" كانت لصيقة بمسكن صالح باي، وذلك في سنة 1774م، وقد اكتسب المكان أهمية كبيرة حينما قرر صالح باي السكن بجوار المسجد في الدار التي بناها لنفسه بين الجامع الأعظم وبين مقعد الزاوة، وتواصلت عملية الوقف طوال "عشرة سنوات" تزيد في ثروة المدرسة والجامع من جهة، وتوسيع أحباس الجامع وتنظيم وتوزيع المحلات المجاورة لهذا الحي من جهة أخرى⁽⁶¹⁾، كما قام صالح باي بشراء شارع الذميين الذي "ذكرناه سابقا" والذي قدرت مساحته خمسة وعشرين ذراعا وحبسها على جامع في أواخر محرم 1775م، كما قام بحبس جميع الأنقاض المذكورة التي بناها على الجامع الأعظم تحييسا مؤيدا واستثنى دار المرضى التي بناها إذ جعلها مبيأة لسكن من حصل به مرض من العسكر ليستقر بها.⁽⁶²⁾

ولقد تركزت أملاك صالح باي التي أوقفها على الجامع في باب الوادي في حدود مثلث بين الشارع وسوق الجمعة ومقعد زاوة قرب الأبواب الرئيسية، فحس أربعة عشر حانوتا على الجامع الأعظم، وكانت هناك وقفيات أخرى على مساجد قسنطينة، مثل جامع سيدي الدبي، كما

مست وقفيات صالح باي أحياءا بكاملها: "محلة سوق الجمعة"، "سوق العصر" و"حومة الشارع" و"مقعد زاوية"، وبلغت حتى "الطاوية" و"باب الوادي" فكانت فرصة لترتيب عمران جديد وكان اهتمام الباي وحرصه على الجامع الأعظم يعود أساسا لحدائثة بنائه.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة خلصنا إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات:

- أن العهد العثماني في الجزائر عرف فترات من الرقي والازدهار والتنوع في الميدان الثقافي إلا أنه اقتصر بالدرجة الأولى على التعليم الديني ولم يتعداه رغم الجهود المبذولة إلى العلوم العصرية آنذاك إلا فيما ندر.

- عمل العثمانيون سواء حكام أو بايات خاصة في فترتي حكم كل من الباي محمد الكبير في بايلك الغرب وصالح باي في بايلك الشرق، على بناء المساجد وتأسيس الأوقاف عليها، كما اهتموا بالتعليم وشؤونه كبناء المدارس والتي نالت الشهرة في داخل الجزائر وخارجها كالمدرسة الحمديّة في معسكر والمدرسة الكّانية في قسنطينة.

- حظي العلماء في هذه الفترة المدروسة مكانة كبيرة في السلم الإداري للدولة، كما لعب العلماء دورا بارزا في نصح وتوجيه وشخذ همم الحكام والنهوض بالحياة الثقافية في الجزائر.

- اكتسبت كل من شخصية الباي محمد الكبير وصالح باي طابعا أسطوريا اختلطت فيه الحقائق التاريخية بالأساطير الشعبية و ميول الرواة، كما أن بعض الكتابات والأبحاث التي تناولت هذه الشخصيتين لم تتحرا الموضوعية اللائقة والدقة الكبيرة في كتاباتها حتى أنها كثيرا ما ألصقت بعض التهم مثل وصف صالح باي بالظالم أو القاسي دون أن تعطي لنا ما يبررها منطقيا.

- قامت هاتين الشخصيتين بجهودات جبارة من أجل النهوض بالثقافة والتعليم في زمن قلت فيه مظاهر العلم والتعليم، فكلاهما حاولا أن يمثل (عصر التنوير) في الجزائر العثمانية.

الهوامش:

- ¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، الجزائر: عالم المعرفة، 2015، ص:192.
- ² - نفسه، ص:192.
- ³ - كان له دور هم في سياسة الجزائر العامة، تولى الباشوية ثم تخلى عنها إلى نائبه (كاهيته)، ثم تولى قيادة الأسطول العثماني ومات في جزيرة "شيكو" التي انتصر فيها، ويقال أنه كان مريضا وضعيف البنية ولذلك كان الأوروبيون يسمونه ميز مورتو أي نصف الميت، أما المسلمون فيسمونه الحاج حسين...سعد الله المرجع السابق، ص:234.
- ⁴ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص:234.
- ⁵ - Devoulx albert, *mosquée dite djaha safir aux kléber*, R.A.N°14,1870,p:189.
- ⁶ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص:235.
- ⁷ - Dournon.a, *kitabe tarikh qasantina*, R.A.N°57,1913,p:289.
- ⁸ - صالح فركوس، الباي محمد الكبير وبعث الحركة الثقافية ببايك الغرب الجزائري، مجلة الثقافة، ع:71 الجزائر: ش.و.ن.ت، سبتمبر-أكتوبر 1982، ص:16.
- ⁹ - أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تق وتح: محمد غانم، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2005، ص:37.
- ¹⁰ - Emerit marcel, *les aventures de thédenat*, R.A.N°92,1948,181.
- ¹¹ - صالح فركوس، المرجع السابق، ص:16.
- ¹² - فتحة الواليش، الحياة الحضارية في بايك الغرب الجزائري خلال القرن 18م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر: قسم التاريخ، 1994، ص:158.
- ¹³ - بوجلال قدور، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايك الغرب فترة الدايات 1671-1830م رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، وهران: كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ 2016/2017م، ص:203.
- ¹⁴ - ابن سخنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح و تق: المهدي البوعبدلي الجزائر: مطبعة البعث، 1973، ص:143.
- ¹⁵ - أحمد بن هطال التلساني، رحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري 1785م، أبحاث ندوة الرحالة العرب والمسلمين، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، 2005، ص:13.
- ¹⁶ - ابن سخنون الراشدي، المرجع السابق، ص:237.
- ¹⁷ - يحي بوعزيز، الإنتاج الفكري والأدبي للشيخ أبي راس الناصري العسكري، المجلة التاريخية المغربية، ع:53-54، 1989، ص:245.
- ¹⁸ - ابن سخنون الراشدي، المرجع السابق، ص:135.
- ¹⁹ - سليم بابا عمر، مخطوط تاريخي لم ينشر الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة مجلة تاريخ وحضارة المغرب، ع:03، 1967، ص:32.
- ²⁰ - ابن سخنون الراشدي، المرجع السابق، ص:ص:146،147.
- ²¹ - نفسه، ص:127.
- ²² - نفسه، ص:135.
- ²³ - يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، الجزائر: منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 2002، ط:01، ص:215.
- ²⁴ - Lerlerc, *inscriptions arabes de mascara*, R.A.N°04,1859,pp:44,45.
- ²⁵ - يحي بوعزيز، ماضي مدينة وهران وأمجادها التاريخية، مجلة الثقافة، ع:1975، 52، ص:ص:54،55.

- ²⁶ - جاك لحسن، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931-1956م، الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003، ص:30.
- ²⁷ - بوجلال قدور، المرجع السابق، ص:205.
- ²⁸ - Shaw, *l'Algérie un siècle avant l'occupation française*, traduit par: j.Mac .cartly, paris: éditions imprimerie de carthage , 1968, p: 48.
- ²⁹ - بوجلال قدور، المرجع السابق، ص:206.
- ³⁰ - نفسه، ص:207.
- ³¹ - بلبروات بن عتو، الباي محمد الكبير باي وهران 1779-1797م حياته وسيرته، مجلة عصور ع:03، 1423هـ/جوان2003م، ص:222.
- ³² - ابن سخنون الراشدي، المرجع السابق، ص:127.
- ³³ - نفسه، ص:128.
- ³⁴ - بوجلال قدور، المرجع السابق، ص:208.
- ³⁵ - ابن سخنون الراشدي، المرجع السابق، ص:128.
- ³⁶ - الآغا بن عودة المزارى، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح: يحي بوغريز، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990، ج:01، ص:295.
- ³⁷ - قيل أن مولده كان حوالي سنة 1725م وجاء إلى الجزائر سنة 1741م، أصله من بلد أزمير وكان رجلا عاقلا عارفا بالسياسة وأمور السلطة لأنه من الأقدمين في الأوجاق وترقى من مرتبة إلى مرتبة حتى بلغ منصب الباي الذي بقي على رأسه 22 سنة (1771-1792م)، وكان حسن السيرة وصاحب حق، أنظر: مؤلف مجهول، تاريخ بايات قسنطينة، تح: مختار حساني، الجزائر: منشورات دحلب، 1999م، ص:42. وينظر كذلك: فاطمة الزهراء قشي، المدينة والمجتمع من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، 1998م، ج:01، ص:105.
- ³⁸ - محمد الصالح العنتري، فريدة منسية في دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مر وق وتغ: يحي بوغريز، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، ص:64.
- ³⁹ - Mouloud gaid, *chronique des bays de constantine*, Alger o.p.u, S.D, p: 41.
- ⁴⁰ - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ت)، ج:03، ص:278.
- ⁴¹ - عبد العزيز فيلاي، مدينة قسنطينة. دار الهدى للطباعة والنشر.الجزائر(د.ت)، ص: 248.
- ⁴² - عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص: 279.
- ⁴³ - محمد الصالح العنتري، المرجع السابق، ص: 64.
- ⁴⁴ - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 135.
- ⁴⁵ - فاطمة قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، قسنطينة: ميديا بولس، 2005، ص:67.
- ⁴⁶ - أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791م) سيرته، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، الجزائر: م.و.ك، 1986، ص، ص:135، 134.
- ⁴⁷ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج:01، ص: 275.
- ⁴⁸ - Bourouiba.R, *Constantine collection art et culture*, Alger: 1978.p119.
- ⁴⁹ - Mouloud gaid,Op,Cit,p: 04

⁵⁰ - ناصر الدين سعيدوني، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر: دار الغرب الإسلامي 1988 ط: 1 ص: 295.

⁵¹ - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 295.

⁵² - Bourouiba, R, OP, CIT, p:120.

⁵³ - Eugene Vayssettes , **Histoire de Constantine sous les beys depuis l'invasion turque jusqu'à l'occupation française 1535-1837**, Alger : Grand-Alger-Livres, 2005, pp 354,355.

54 - Mouloud gaid, Op, Cit, p: 42.

⁵⁵ - عبد القادر حلوش، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1871-1914 ، دمشق: رسالة ماجستير 1985، ص: 11.

⁵⁶ - عبد العزيز فيلاي، مدينة قسنطينة، الجزائر دار الهدى للطباعة والنشر، (د.ت)، ص: 165.

⁵⁷ - فاطمة قثي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات.. المرجع السابق، ص: 67.

⁵⁸ - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق ؛ ص 295-296

⁵⁹ - Charel Féraud, **les anciens établissements religieux musulmans de constantine** , in R.A.N°12,1868,p:123,124.

⁶⁰ - Charel Féraud, Op, Cit, p:124.

⁶¹ - قثي فاطمة الزهراء، مؤسسة الأوقاف في قسنطينة في العصر الحديث، الجزائر، مجلة دراسات إنسانية، 2001-2002، ص: 138.

⁶² - Ferraud , OP, Cit, P: 50.